كذلك فى الوجود بأسره أنواع مقصودة من التكون ثابتة جارية على نظام لا تفاوت فيها إلا يسيرا [2073] بقدر عرض ذلك النوع فى كيفه، وكمّه، وأنواع غير مقصودة بل لزمت لطبيعة الكون والفساد العامّ، مثل أنواع الدود المتولدة من الأزبال ، و أنواع الحيوانات المتولدة فى الفواكه اذا عفنت، وما يتولد عن عفن الرطوبات والدود المتولد فى الامعاء ونحوه.

وبالجملة يبدولى ان كل ما لا توجد فيه قوة توليد لمثله فهو من هذا القبيل، ولذلك لا تجدها تحرز نظاما وإن كان لابد منها ، كما لابد من ألوان مختلفة، ولا بد من انواع الشعر فى اشخاص الانسان. وكما ان الانسان اجسام اشخاصها ثابتة كالأعضاء الأصلية وأجسام باقية بالنوع لا بالشخص، كالأخلاط الأربعة . كذلك فى الوجود بجملته أجسام ثابتة باقية بالشخص وهو الجسم الخامس بجميع أجزائه وأجسام باقية بالنوع ، كالاسطقسات وما تركّب منها. وكما أن قوى الإنسان الموجبة لتكوُّنه وبقائه مدة بقائه هى بعينها الموجبة لفساده وتلافه.

كذلك أسباب الكون هى بعينها أسباب الفساد فى جميع عالم الكون والفساد، مثاله | أن هذه الأربع قُوى الموجودة فى بدن كل مغتذٍ، وهى (١٠٢-١)م الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة ، لوامكن ان تكون هذه القوى كالقوى العقلية حتى لا تفعل، إلا ما ينبغى وفى الوقت الذى ينبغى، وبالقدر الذى ينبغى، لكان الإنسان سيسلم من آفات عظيمة جدا، وأمراض عدة ؛ لكنه لما لم يمكن ذلك ، بل كانت تفعل أفعالا طبيعية ، من غير فكرة ولا روية، ولا تدرك ما تفعله بوجه، لزم أن تحدث من أجلها أمراض عظيمة وآفات وإن كانت هى الآلة فى تكوّن الحيوان وفى بقائه المدة التى يبقى.

وبيان ذلك أن القوة الجاذبة مثلا لوكانت لا تجذب إلا الشئ الموافق من جميع جهاته وقدر المحتاج إليه فقط لسلم الإنسان من أمراض وآفات كثيرة لكنه لما لم يكن الأمر كذلك، بل تجذب اى مادة اتّفقت من جنس جَذْبها. وإن كانت تلك المادة منحرفة قليلا فى كمها وكيفها ، لزم

(2073) يسيرا : ج ، يسير : ت

من ذلك أن تجذب المادة التى هى أحرّ مما يحتاج أو ابرد مما يحتاج أو أغلظ أو أرقّ أو أكثر ؛ فتغصّ بذلك العروق وتحدث السدّة والعفن وتفسد كيفية الأخلاط وتتغيّر كمّيتها. فتحدث أمراض كالجرب والحكّة والثواليل، أو آفات عظيمة ، كالورم السرطانى والجذام والأكلة حتى تفسد صورة العضو او الأعضاء.

وكذلك الأمر أيضا فى سائر القوى الأربع ، كذلك الأمر بعينه فى جملة الوجود الأمر الموجب | لكون ما يتكوّن واستمرار وجوده | مدة ما، وهى اختلاط الاسطقسات بالقوى الفلكية المحركة لها المبثوثة فيها ، هو السبب بعينه فى حدوث اسباب مؤذية فى الوجود كالسيول والامطار الوابلة[2074] والثلج[2075] والبرد ، والرياح العاصفة والرعود والبروق وعفونة الهواء، أوحدوث أسباب مهلكة جدا تُفنِي بلدة أو بلادا أو إقليما كالخسوف والزلازل والصواعق والمياه التى تفيض من البحار والأغمار.

(٢٢٠ - ١) ج
(١٠٢ - ب) م

واعلم أن هذا الذى قلناه كله من تشبيه العالم بجملته بشخص انسان ليس من أجل هذه الأشياء. قيل فى الانسان إنه عالم صغير لان هذا التشبيه كله مطرد فى كل شخص من أشخاص الحيوان الكامل الأعضاء ولم تسمع قط احدا ، من الأوائل يقول إن الحمار أو الفرس عالم صغير ، وإنما قيل فى الأنسان ذلك من أجل الأمر الذى اختصّ به الإنسان، وهو[2076] القوة الناطقة، اعنى العقل الذى هو العقل الهيولانى الذى هذا المعنى لا يوجد فى شئ من أنواع الحيوان غيره .

وبيان ذلك أن كل شخص من أشخاص الحيوان لا يفترق فى استمرار وجوده الى فكر وروية وتدبير، بل يمشى ويسعى بحسب طبيعته، ويأكل ما يجد مما يوافقه ويأوى لأى موضع اتّفق ، وينزو على اى أنثى وجد عند هيجانه إن كان له أوان هيجان ، فيدوم بذلك شخصه المدة التى يدوم،

(2074) الوابلة : ت ، الوبلة : ج ن (2075) الثلج : ت ، الثلوج : ج .
(2076) وهو : ت ، وهى : ن

و يستمر وجود نوعه . ولا يحتاج بوجه لشخص آخر من نوعه يعاونه و يعاضده على بقائه، حتى يعمل له أشياء | لا يعملها هو بنفسه . (١٠٣ - ا) م

أما الإنسان خاصة، فإنه لو قُدّر شخص منه وحده موجودا قد عدم التدبير و صار كالبهائم لتلف لوقته ذاك، و لا يمكن لبثه ولو[2077] يوما واحدا إلا بالعرض، اعنى ان يجد بالاتفاق شيئا يغتذى به ، و ذلك أن أغذيته التى بها قوامه تحتاج الى صناعة و تدبير طويل لا يتم إلا بفكرة و روية، و بآلات كثيرة و بأشخاص كثيرين أيضا ، ينفرد كلّ واحد منهم بشغل مّا ، فلذلك يحتاج من يسوسهم و يجمعهم حتى ينتظم اجتماعهم ، و يستمر ليعاون بعضهم بعضا. و كذلك تقوية الحرّ فى زمان الحرّ و البرد فى زمان البرد و صيانته من الامطار و الثلوج و هبوب الرياح يحتاج الى تهيئة استعددات كثيرة كلها لا تتمّ إلا بفكرة و روية. و من أجل ذلك وُجدت فيه هذه القوة الناطقة التى بها يفكر و يروى و يعمل و يهيئ بأنواع من الصناعات أغذيته و كنّه و لباسه و بها يدبّر جميع أعضاء جسمه حتى يفعل منها الرئيس ما يفعل و يدبر المرأوس بما يتدبر. فلذلك لو قدرت شخصا من الناس مسلوبا هذه القوة متروكاً مع الحيوانية فقط لتلف و باد لحينه.

و هذه القوة شريفة جدا أشرف قُوى الحيوان، وهى أيضا خفية جدا لا تُفهم حقيقتها ببادى الرأى المشترك كفهم سائر القوى الطبيعية ، كذلك فى الوجود أمرمّا هو المدبّر لجملته المحرّك لعضوه الرئيس الأول الذى أعطاه قوة التحريك حتى دبّر بها ما سواه | ولو قُدّر بطلان ذلك الأمر، بطل وجود (١٠٣ - ب) م هذه الكرة بأسرها الرئيس منها و المرؤوس. و بذلك الأمر يستمر وجود الكرة وكل جزء منها و ذلك الأمر هو الإله تعالى اسمه. و بحسب هذا المعنى فقط ، قيل فى الإنسان خاصة إنه عالم صغير ، إذ و فيه مبدأ ما هو المدبّر لجملته. ومن أجل هذا المعنى سمّى الله تعالى فى لغتنا حياة العالم و قيل:

(2077) ولو : ت ، ولا . ج

وحلف بالحى الى الأبد[2078] واعلم [2079] ان هذا التشبيه الذى شبهنا العالم بجملته بشخص[2080] انسان لا يخالف فى شئ مما ذكرناه إلا فى ثلثة أشياء :

أحدها : أن العضو الرئيس من كل حيوان . له قلب يستنفع بالأعضاء المرؤوسة ، ويعود عليه نفعها وليس فى الوجود الكلّى شئ كذلك ؛ بل كل من يفيض تدبيرا أو يعطى قوة لا يعود عليه نفع بوجه من المرؤوس، بل إعطاؤه ما [2081] يعطيه كإعطاء المنعم المفضل الذى يفعل ذلك كرم طباع وفضيلة سجية لا لترجّ [2082] بل [2083] هذا تشبُّه بالإله تعالى اسمه.

والثانى : ان القلب من كل حيوان . له قلب فى وسطه وسائر الأعضاء المرؤسة محيطة به لتعمّه منفعتها فى صيانته وحراسته بها حتى لا تسرع له أذية من خارج ؛ والأمر فى العالم بجملته بالعكس، أشرفه محيط بأخسّه لما أمن عليه من قبول الأثر مما سواه وحتى لوكان متأثرا لما وجد خارجا عنه جسم [2084] آخر يؤثر فيه، فهو يفيض على ما فى داخله ولا يصله اثر بوجه
(١٠٤-)ام ولا قوة من غيره من | الأجسام.

وهنا أيضا شبه ما ، وذلك أن العضو الرئيس فى الحيوان كل ما بعد عنه من الأعضاء كان أقلّ شرفا [2085] مما هو قريب منه. وكذلك الأمر فى العالم بأسره كلما قربت الأجسام من المركز تكدرت وغلظ جوهرها
(٢٢٠-ب)م وعسرت حركتها ، وذهب نورها | وشفافها لبعدها عن الجسم الشريف النيّر الشفاف المتحرك اللطيف البسيط ، اعنى الفلك. وكلما قرب منه جسم اكتسب شيئا من هذه الخصال بحسب قربه وصار له شرف ما، على مادونه.

والثالث : أن هذه القوة الناطقة هى قوة فى جسم وغير مفارقة له ، والله تعالى ليس هو قوة فى جسم العالم، بل مفارق لجميع أجزاء العالم وتدبيره تعالى وعنايته مصحوبة للعالم بجملته اصطحابا [2086] يخفى عنّا كنهه [2087]

(2078) ع [دانيال ١٢ ,٧] ، و بشبع بحى همولم ت ح (2079) ، و اعلم : ت ، لان العوالم بجهه ما كثيرة و اعلم ح (2080) شخص ت ، تشخص ج (2081) ما : ت ، كما : ن (2082) لترجّ ب ، تر جى ح ن (2083) بل : ت ، بل كل ن (2084) جسم : ج ، حسما ت (2085) شرف ح شرف ت (2086) اصطحابا ت ، اصحابا : ج (2087) كنهه ت ، كوهها ن

وحقيقته وقُوى البشر مقصرة عن ذلك، إذ البرهان يقوم على مفارقته تعالى للعالم وتَبرّيه[2088] منه والبرهان يقوم على وجود آثار تدبيره، (و*) عنايته فى كل جزء من أجزائه ولودقّ وحقر، فسبحان من ابهرنا كماله.

واعلم أنه كان ينبغى أن نشبّه نسبة الله تعالى للعالم نسبة العقل المستفاد للانسان الذى ليس هو قوة فى جسم، وهو مفارق للجسد مفارقة حقيقية، وفائض عليه وكان يكون تشـــبيه القوة الناطقة بعقول الأفلاك التى هى فى أجسام، لكن امر عقول الأفلاك ووجود العقول المفارقة وتصوُّر العقل المستفاد الذى هو مفارق أيضا، هى أمور فيها نظر| وبحث، ودلائلها خفية، (١٠٤-ب)م وان كانت صحيحة، وتحدث فيها شكوك كثيرة، وللطاعن فيها مطاعن وللمشغّب فيها تشغيب. ونحن إنما آثرنا أولا أن تتصوّر الوجود بالصورة البيّنة التى لا يناكر فى شئ مما ذكرناه ذكرا مرسلا إلا أحد شخصَيْن. اما جاهل بالأمر البيّن كما يناكر من ليس بمهندس أمورا تعليمية تبرهنت او من يؤثر التمسك برأى ما سابق فيغالط نفسه، أما من يريد [ان] ينظر نظرا حقيقياً فليتعلم حتى يتبيّن له صحة كل ما أخبرنا به، ويعلم أن هذه هى صورة هذا الموجود المستمرّ وجوده بلاشك ولاريب، فان أراد [ان] يقبل هذا ممن تبرهن له كل ما تبرهن، فليقبل؛ ويبنى على ذلك مقايسه ودلائله وإن لم يؤثر التقليد ولا فى هذه المبادئ أيضا فليتعلم، فسوف يتبيّن له أن الأمر هكذا هو: هذا ما اختبرناه، وهو الحق فاسمعه واحتفظ به[2089] وبعد هذا التمهيد آخذ فى ذكر ما وعدنا بذكره وتبيينه.

فصل عج [٧٣]

المقدمات العامة التى وضعها المتكلمون على اختلاف آرائهم وكثرة طرقهم وهى ضرورية فى إثبات ما يريدون إثباته فى هذه الأربعة مطالب، اثنتى عشرة مقدمة. وها انا أذكرها لك ثم أبيّن لك معنى كل مقدمة منها، وما يلزم عنها. | (١٠٥-ب)م

(2088) تبريه : ج، تبرؤه : ت (*) و : ج، - : ت (2089) : ع [ايوب ٢٧/٥]، هنه زات حقر نوه كن هيا شمعنه واته دع لك : ت ج